

وكانَ فِي يَافَا تلميذَةً اسْمُهَا طابيثا!

(Arabic - There was a disciple named Tabitha!)

إِحْبَائِي.. حديثنا اليومَ مَوْضُوعُهُ: وكانَ فِي يَافَا تلميذَةً اسْمُهَا طابيثا!

ومنَ سفرِ أَعْمَالِ الرُّسُلِ الأصْحاحِ التاسعِ نقرأُ العَدَدَ السَّادِسَ والثلاثينَ:

"وكانَ فِي يَافَا تلميذَةً اسْمُهَا طابيثا الذي تَرَجَّمَتُهُ غَزَالَةٌ هذِهِ كَانَتْ مُمْتَلِئَةً أَعْمَالًا صَالِحَةً وإِحْسَانَاتٍ كَانَتْ تَعْمَلُهَا"^١.

إِنَّ كُلَّ مَسِيحِي تلميذٍ للمسيحِ وكلِّ مَسِيحِيَّةٍ هي تلميذَةٌ للمسيحِ.. وما ذَكَرَهُ متى البشيرُ فِي إنجيلِهِ الأصْحاحِ الثامنِ والعشرينَ عَن كَلِمَاتِ الرَّبِّ يَسُوعَ عِنْدَ ظُهُورِهِ لتلاميذِهِ فِي الجليلِ، إِذْ كَتَبَ يَقُولُ: فَتَقَدَّمَ يَسُوعُ وَكَلَمَهُمْ قَائِلًا: "ذَفِعْ إِلَى كُلِّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ فَادْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أُوصِيْتُمْ بِهِ وَهَآ أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى إِنْقِضَاءِ الدَّهْرِ آمِينَ" .. كَانَ مَا قَالَهُ لَهُمْ هُوَ المَنْهَجُ لِإِرْسَالِيَّتِهِمْ.. إِذْ كَانَتْ وَصِيَّةُ السَّيِّدِ المَسِيحِ لتلاميذِهِ: "أَنْ يَذْهَبُوا وَيُتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ"^٢.

لَمْ تَكُنْ تَلْمِذَةٌ المُؤْمِنِينَ بِالمَسِيحِ بِالأَمْرِ المَقْبُولِ وَتَقْدَاكَ عِنْدَ اليَهُودِ خَاصَّةً عِنْدَ الكَتَبَةِ والفَرِيسِيِّينَ.. فَكَدَّ جَاءَ بِإِنْجِيلِ يوحنا الأصْحاحِ التاسعِ أَتَهُ بَعْدَ أَنْ فَتَحَ الرَّبُّ يَسُوعَ عَيْنِي الرَّجُلِ الَّذِي كَانَ أَعْمَى مِنْذُ ولادَتِهِ وَأَبْصَرَ. جَاءَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ اليَهُودِ وَكَانُوا فَرِيسِيِّينَ وَقَالُوا لَهُ: "مَاذَا صَنَعْتَ بِكَ؟! كَيْفَ فَتَحْتَ عَيْنِيكَ؟!". أَجَابَهُمْ: "قَدْ قُلْتُ لَكُمْ وَلَمْ تَسْمَعُوا!! لِمَاذَا تَرِيدُونَ أَنْ تَسْمَعُوا أَيضًا?! أَلَعَلَّكُمْ تَرِيدُونَ أَنْ تُصَيِّرُوا لَهُ تَلْمِذَةً?!". فَسْتَمَوْهُ وَقَالُوا: "أَنْتَ تَلْمِذٌ ذَاكَ وَأَمَّا نَحْنُ فَإِنَّا تَلْمِذٌ مُوسَى!". لَمْ يَكُنْ هُوَلاءِ الفَرِيسِيِّينَ يَعْلَمُونَ أَنَّ مُوسَى تَنَبَّأَ عَن مَجِيءِ يَسُوعَ المَسِيحِ! لَقَدْ قَالَ السَّيِّدُ المَسِيحِ: "فَتَشَوْا الكِتَابَ لِأَنَّكُمْ تَظُنُّونَ أَنَّ لَكُمْ فِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً وَهِيَ الَّتِي تَشْهَدُ لِي".

لَقَدْ بَشَّرَ التَلْمِذُ بِاسْمِ المَسِيحِ وَتَلْمِذُوا كَثِيرِينَ وَكَثِيرَاتٍ وَعَمِّدُوهُمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَصَالِيَا الرَّبِّ.. وَطابيثا الَّتِي كَانَتْ تَعِيشُ فِي يَافَا وَاحِدَةً مِنَ تَلْمِذَاتِ المَسِيحِ.. يُسَجَلُ سَفَرُ أَعْمَالِ الرُّسُلِ عِنهَا أَنَّهَا كَانَتْ مُمْتَلِئَةً أَعْمَالًا صَالِحَةً وَإِحْسَانَاتٍ كَانَتْ تَعْمَلُهَا. حَتَّى أَنهَا لَمَّا مَرَضَتْ وَمَاتَتْ بِكَاهَا جَمِيعُ الأَرَامِلِ فِي مَدِينَةِ يَافَا. لَمْ تَعَشْ لِنَفْسِهَا بَلْ عَاشَتْ لغيرِهَا. لِذَلِكَ أَرْسَلَ التَلْمِذُ الَّذِينَ فِي يَافَا رَجُلَيْنِ يَطْلُبَانِ إِلَى بَطْرُسَ أَنْ لَا يَتَوَانَى بَلْ يَجْتَازَ إِلَيْهِمْ سَرِيعًا لِإِيمَانِهِمْ أَنَّ الرَّبَّ قَادِرٌ أَنْ يَسْتَعْمِدَهُ فِي إِقَامَةِ طابيثا مِنَ المَوْتِ. وَفِي حَدِيثِنَا الآنَ سَنناقِشُ أسْئَلَةَ ثَلَاثَةِ عَن التَلْمِذَةِ:

أولاً: مَنْ هُم تَلْمِذُ المَسِيحِ؟ بِأَبْطَلِ الكَلِمَاتِ نَقُولُ: إِنَّ تَلْمِذِ المَسِيحِ لَيْسُوا هُم مَن قَبِلُوا المَسِيحِيَّةَ بِالوَرَاثَةِ وَاتَّخَذُوا لَهَا دِينًا.. وَلَيْسَ مَن قَبِلَهَا لِأَنَّ مَبَادِئَهَا خَيْرٌ مَبَادِيٍّ وَحَسَبٌ.. وَلَيْسَ مَن قَبِلَهَا لِأَنَّ هَدْفَهُمْ كَانَ أَسَاسًا طَمَعًا فِي جَنَّةٍ وَنَعِيمٍ وَوَقَايَةٍ مِنَ نَارِ وَجَحِيمِ. إِنَّ مَسِيحِيَّةَ هُوَلاءِ الَّذِينَ ذَكَرْنَا هُمْ تَعْتَبِرُ مَسِيحِيَّةً إِسْمِيَّةً طَالَمَا لَمْ يَقْبَلُوا المَسِيحَ مُخْلِصًا شَخْصِيًّا لَهُمْ.. لِأَنَّ تَلْمِذِ المَسِيحِ هُم مَن قَبِلُوا المَسِيحَ مُخْلِصًا وَنَالُوا الحَيَاةَ الجَدِيدَةَ بِالإِيمَانِ.

حَدَّثَ أَنَّ كَثِيرِينَ تَبِعُوا المَسِيحَ حِينَ رَأَوْا مُعْجَزَةَ إِسْبَاعِ خَمْسَةِ آلَافٍ بِخَمْسِ خَبِرَاتٍ وَسَمَكْتَيْنِ. وَلَكِنْ حِينَ قَالَ لَهُمُ السَّيِّدُ المَسِيحِ: "أَنَا هُوَ الخَبِزُ الحَيُّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ. إِنَّ أَكْلَ أَحَدٍ مِنْ هَذَا الخَبِزِ يَحْيَا إِلَى الأَبَدِ". تَذَمَّرُوا عَلَيْهِ. "وَمِنْ هَذَا الوَقْتِ رَجَعَ كَثِيرُونَ مِنَ تَلْمِذِيهِ إِلَى الوَرَاءِ وَلَمْ يَعُودُوا يَمَسُونُ مَعَهُ!". وَلَمَّا قَالَ يَسُوعُ لِثَلَاثِي عَشَرَ تَلْمِذًا "أَلَعَلَّكُمْ أَنْتُمْ أَيضًا تَرِيدُونَ أَنْ تَمَضُوا؟" أَجَابَهُ سِمْعَانُ بَطْرُسُ: "يَا رَبِّ إِلَى مَن نَذْهَبُ. كَلَامُ الحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ عِنْدَكَ. وَنَحْنُ قَدْ آمَنَّا وَعَرَفْنَا أَنَّكَ أَنْتَ المَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الحَيُّ" هَذِهِ هِيَ التَلْمِذَةُ الحَقِيقِيَّةُ للمَسِيحِ الحَيِّ.^٣

استمع إلى الإنجيل

^١ سفر الأعمال ٩: ٣٦ ،

^٢ إنجيل متى ٢٨: ١٨ - ٢٠ ، إنجيل يوحنا ٩: ٢٦ - ٢٨ & ٥: ٣٩

^٤ إنجيل متى ١٤: ١٤ - ٢١ ، إنجيل مرقس ٦: ٣٠ - ٤٣ ، إنجيل لوقا ٩: ١٠ - ١٧ ، إنجيل يوحنا ٦: ١ - ١٥ & ٦٦ - ٦٩

إن التلميذ الحقيقي لا يرجع من وراء الرب مهماً تغيرت الظروف والأحوال.. التلميذ الحقيقي يثبت في كلام الرب.. لقد أشار السيد المسيح لتلاميذه "أن واحداً منهم شيطان" قال هذا عن سيمعان يهوذا الإسخر يوطى.. لأن تلمذته لم تكن صادقة وبلا جذور ثابتة في قلبه.. وقال لهم: "إنكم إن ثبتتم في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذي" التلميذ الحقيقي هو الذي يحمل صليبه كل يوم ويأتي وراءه.. فلقد قال الرب يسوع: "ومن لا يحمل صليبه ويأتي ورأى فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً". إن التلمذة لموسى تختلف عن التلمذة للمسيح ابن الله.. لقد مات موسى وسلك تلاميذ موسى بما جاءهم به موسى.. ولكن التلمذة للمسيح ليست مجرد معرفة لتعاليم المسيح فهذا لا يكفي.. ولكنها تستوجب أن نعيش في المسيح وبالمسيح لأن المسيح حي.. ولكي نحيا حياة مسيحية صادقة لا بد أن نحيا المسيح فينا.. قال الرب يسوع لتلاميذه بإنجيل يوحنا الأصحاح الخامس عشر: "بذوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً" ووعدهم بإنجيل متى الأصحاح الثامن والعشرين بالقول: "وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر".^١

ثانياً: كيف يميز الناس التلمذة الحقيقية للمسيح؟ لقد أوضح السيد المسيح العلامة المميزة التي يعرف الجميع بها تلاميذ المسيح.. فلقد قال: "بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي إن كان لكم حُب بعضاً لبعض" إن محبة أهل العالم هي مقابل لمحبة أبنائها آخرون لهم أما المحبة المسيحية فلا تنتظر المقابل ولا تتوقف عليه.. إنها من نوع محبة الأب السماوي الذي أحبنا فضلاً.. أحبنا ونحن بعد خطاة.. "أحبنا لدرجة أنه بذل الابن الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" ومن ذا الذي يستطيع أن يوفى هذه المحبة العجيبة وامتياراتها التي بلا نظير!.. قال يوحنا الرسول: "انظروا آية محبة أعطانا الأب حتى ندعى أولاد الله!"

إن تلاميذ المسيح لهم القلب الفياض بمحبة الآخرين.. وبذلك المحبة التي لا تنتظر المقابل يستطيع العالم أن يدرك ويميز تلاميذ المسيح.. لأنها من طراز آخر لم يألّفه العالم ولا يمكن محاكاته لأنه ينبع من نعمة يمنحها الله لأولاديه.. وطابيتنا تلميذة يافا كانت مثالا يُحتذى.. إذ كانت محبة الآخرين محبة عملية لا تنتظر المقابل.^٢

ثالثاً: لماذا نلاحظ أن تلمذة كثيرين للمسيح موضع شك؟! السبب هو البعد عن مصدر النور. إن البعد عن الرب والانغماس في العالم الشرير هما أصل الداء.. والعلاج الوحيد لهؤلاء أن يغيروا مسارهم الخاطئ ويقتربوا من مصدر المحبة وهو شخص الرب.. فبقربنا منه سيعمرنا بفيض محبته وتفيض محبتنا على الآخرين.. فنحن بالطبيعة كالأجسام المعتمة لن ينعكس نور المحبة منا إلا إذا اقتربنا من شمس البر. لأن حالة البعد تؤدي إلى جفاف ينابيع المحبة في قلوبنا.. إن البعد عن حضرة الرب هو الموت بعينه.. ولن تسرى فينا الحياة إلا إذا ثبتنا في الكرامة الحقيقية.. وشتان الفرق بين قلب حي تصدر منه محبة حارة. وبين آخر فاتر محبة فاترة غير مثمرة.^٣

بكي الأرامل طابيتنا تلميذة يافا لأنها ماتت ولم تعد قادرة على العطاء. وجاء بطرس من لدة إلى يافا حيث كانت طابيتا. ولما أخرج الجميع خارجاً جثا على ركبتيه وصلى.. ثم التفت إلى الجسد الميت وقال: "يا طابيتا قومي" .. وهنا حدثت المعجزة وفتحت طابيتا عينيها.. ولما أبصرت بطرس جلست.. "فناولها يده وأقامها ثم نادى القديسين والأرامل وأحضرها حية". وفرحت أرامل يافا بطابيتنا تلميذة المسيح. "الممثلة أعمالاً صالحة". إن تلميذ المسيح له اختبار شخصي مع المسيح.. تلميذ المسيح يعيش بالمسيح وفي المسيح تابعاً لإياه حاملاً الصليب. وبدون المسيح لا يقدر أن يفعل شيئاً. التلميذ الحقيقي للمسيح ممتليء بالأعمال الصالحة. يعرفه الجميع بمحبته للآخرين محبة ظاهرة مضحية لا تنتظر المقابل. مصدرها نبغ المحبة الحقيقي.^٤

أدعوك أخي العزيز لتتشارك معي في تلك الصلاة: أبانا السماوي.. أعترف أمام جلالك أن محبتي فاترة ضعيفة فاغفر لي إلهي.. أتى إليك يا منبع المحبة.. كي تشعل قلبي بمحبتك.. ولتهبني أن أحب إخوتي من قلبٍ طاهر وبشدة.. استجب لي ربّي فأبى أستند على وعدك الصادق.. يا من قلت: من يقبل إلي لا أخرجهُ خارجاً.

أخي القارئ العزيز.. إن أردت سماع تلك الرسالة أو غيرها ستجد ذلك في:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ إنجيل يوحنا ٨: ٣١ & ١٥: ٥ ، إنجيل لوقا ٩: ٢٣ & ١٤: ٢٧ ، إنجيل متى ٢٨: ٢٠
^٢ إنجيل يوحنا ١٣: ٣٥ & ١٦: ٣ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمني رومية ٥: ٨ ، رسالة يوحنا الرسول الأولى ٣: ١
^٣ إنجيل متى ٥: ٤٣ - ٤٨ ، رسالة يعقوب الرسول ٤: ٨ ، إنجيل يوحنا ١٥: ٤ - ١١ ، رؤيا يوحنا اللاهوتي ٣: ١٥ - ٢٠
^٤ إنجيل متى ١٦: ٢٤ ، إنجيل مرقس ٨: ٣٤ ، إنجيل لوقا ٩: ٢٣ & ١٤: ٢٧